

الجمال : المشهد الأول

محمد كوثراني^{*}

يتعرض هذا البحث لمجموعة من الموارد التي ورد فيها مصطلح "الجمال" ، محاولاً وضع تعريف محدد له كمقدمة للخوض في إشكالية مفهوم الجمال، وصولاً إلى مقاربة تعريف عملي له، يفسح في المجال أمام بناء منظومة للمفهوم مستمدة من رؤية اشتقاقية للمصطلح تضعه في مجال التحقيق والتحقق.

استئذان:

لأن الجمال لله اسم وصفة،
لأن البحث عنه لا يكون إلا به،
لأن البحث به يعني الحضور عنده،
لأننا الأصغر في استحقاق الحضور،
لكل هذا ... هو استئذان.

تقديم :

هذا البحث يهدف أولاً وأخيراً إلى وضع تعريف محدد لمفهوم الجمال. وللوقوف على إشكالية موقع مسألة الجمال من طاولة البحث، سنتعرض لمجموعة من الموارد التي ورد فيها المصطلح، علنا نتمكن بعدها من مقاربة تعريف عملي للجمال، يمكن من بناء منظومة اشتقاقية للمصطلح، تضنه في متداول التحقيق والتحقق.

وبعد مناقشة أصل فكرة البحث في موضوع الجمال ، سنعمل إلى عرض مقتضب لمصطلح الجمال: في اللغة أولاً، ثم الفلسفة ثانياً، في العرفان ثالثاً، في الأحاديث ، وأخيراً في الكتاب الكريم. يلي ذلك تفكيرك للمعطيات الواردة في هذا العرض، ليختتم البحث بالتعريف الذي يفترض أن يراعي تقاطع المساحات المعرفية التي جعلت الخوض في هذه المفردة عبر الزمن ، عرضة لتأويلات أفقدتها دلالتها الحقيقة .

الجمال في دائرة البحث:

يتصور بعضنا، أن وضع مفهوم الجمال على طاولة البحث هو ضرب من العبث أو هو شرح لما لا يمكن شرحة. لا اعتقادهم - الوعي أو غير الوعي - بما للموضوع من مزاجية ذاتية، وأن بعض الأمور لا يمكن تشریحها بالمبضع نفسه الذي تشرح فيه القضية القابلة للبرهنة والإثبات بالأدلة عليها.

عن هذا التصور نقول: إنه يقارب جزءاً من الحقيقة، فيما لو تم حصر موضوع الجمال في دائرة مفهوم كيفي وهو الذوق، والمتعلق بالحكم الإنساني على الظاهر الشكلي للأشياء وتشخيص نصيبيها من الراحة النفسية، وإذا ما اعتبر "أن حكم الذوق ليس حكماً عقلياً منطقياً يهدف إلى المعرفة، بل هو حكم جمالي ونعني بالجمالي: ما مبدؤه ذاتي" ^(١). غير أنه من الجائز النظر إلى الموضوع بهذا الضيق، فيما لو اعتبرنا أن الجمال هو صفة أصلية في الوجود وقديمة لأصل الوجود وهو الله جلّ وعلا، وشموليته أي شمولية الجمال من إحاطة الحق الواجب وجوده، وأصل البحث فيه والبحث عنه عظيم الهبة وعين القربى، عدا عن كونه ضرورة وجودية لتحقق واستحقاق رتبة الإنسانية فينا .

أضف إلى ذلك ، أن البحث عن الجمال لا يكون _ وبحكم الإحاطة _ بحثاً عن الله، لسبب اتحاد الصفة والموصوف، بل هو بحث في الله عن الله وأكثر من ذلك بالله؛ أي يتلمس فيضٍ من فيوضات نورانيته وسلوك إحدى الطرق إلى ربوبيته عزوجل، من دون توسط وسيط، لأن سلوك أي طريق آخر لا يزيد الباحث إلا بعداً عن الهدف المرجو.

ورد في دعاء عرفة لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) :

"أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعده تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً " (٢) .

إذاً هو بحث في الله عنه به، ومرتجاه الأول والأخير القرب أو حتى التقرب من الحضرة الإلهية والمحضر الملكوتى، والسلوك نحو ذلك يكون بقصد واحد هو شكر المنعم ونيل الرضا، وقبل كل ذلك تحقق العبودية.

في المقابل، يتصور بعضنا الآخر، أن موضوع الجمال قابل كعلوم الطبيعيات للتشریح، بكل أدوات التجربة الحسية، وبالتالي إنشاء مفهوم الجمال على قاعدة القوانين المادية الخاضعة للتتجربة.

في أحد الأيام واظب - (٣) Michael Angelo " على سرقة ما يزيد عن مائتي جثة من مشرحة Sto-Spirito Florence في ، وعمل على تشييعها بالكامل " (٤) هادفاً للوصول إلى منظومة جمالية شاملة تتأسس على كل عناصر الجمال الطبيعي الموجود في الجسم البشري، وبالتالي وضع تعريف للجمال ووضع قوانين خاصة له بناءً على هذه المنظومة.

وهذا تصور قاصر، لا يطال أي تعريف أو مقاربة للجمال المتعلق بالمنظومة الأخلاقية أو العقلية المجردة أو النفسية غير القابلة للاختبار .

وثمة تصور ثالث ذهب إلى وضع مفهوم الجمال في خانة المثل التي لا يمكن إدراكتها ولا يمكن تجليها، وجعل منها صفة للعوالم العلوية التي ليس لعالم المادة شأن بها إلا من حيث العرض .

يقول أفلاطون في محاورات فيدر :

" عندما تصل نفس إلى أعلى السماء تتقل إلى الجهة الثانية وتجلس عند قمة

السماء، تتأمل الحقائق الأزلية أو الماهيات الحقيقة الوجود التي ليست ذات لون أو شكل، والتي هي موضوع العلم الحقيقى كالعدالة ذاتها والحكمة ذاتها والجمال ذاته والعلم ذاته^(٥).

وهذا التصور أيضاً ينتقص من الجمال بما هو مفهوم يتصرف به الوجود في كل مراتبه حتى الدنيا منها.

من هذه النقطة بالذات، أي شمولية الجمال وتجليه في كافة مراتب الوجود، نطل على الإسلام من حيث هو المنظومة الإلهية الكونية، وبصفته الرحم الأخصب لنمو ذلك المفهوم، ونطل على القرآن الكريم بوصفه المشرب الأكثر أصالةً في بيان حقيقة هذا المعنى، لأن المنظومة الإسلامية قادرة كل القدرة على احتواء شمولية ذلك المفهوم بشمولية أوسع، لأن الإسلام من حيث كونه ديناً لله، يفترض أن يحوي كل الطرق الموصلة إليه، وطريق الجمال إحداها. بالإضافة إلى أننا مدينون للإسلام باستطاعته ليكشف بنفسه عن بعده الجمالي بالقدر نفسه الذي نحن مدينون بتأدبة فرض طاعة أوجبها الله علينا.

الجمال في اللغة:

"الجيم والميم واللام أصلان : أحدهما تجمع وعظمُ الخلق ، والآخر حُسن . فالأول قوله أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء . وأجملته : حصلته"^(٦).

قول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وقال الذين كفروا لولا نَزَّلْ عليه القرآن جملة واحدة﴾^(٧).

" والأصل الآخر، الجمال وهو ضد القبح، ورجل جميل وجمال"^(٨).

وجاء في لسان العرب: "الجمال مصدر الجميل والفعل جمل. قوله عز وجل:
﴿ولكم فيها جمال حين تريهون وحين تسرحون﴾، أي بهاء وحسن"^(٩).

وفي كتاب العين ما يطابق هذا القول في أن "الجمال مصدر الجميل والفعل منه جملٌ يجعل"^(١٠).

وفي المعجم الوجيز الصادر عن مجمع اللغة العربية:

"جمال الشيء - جمالاً : جمعه عن تفرق .

جميل - جمالاً : حسن خلقه فهو جميل.

جمله: حسن وزينه.

تجمل: تكلف الحسن والجمال. اتصف بما يجمل.

استجمل الشيء عده جميلاً^(١١).

وفي بيان أبعاد الكلمة من حيث الدلالة، ينقل ابن منظور في لسان العرب عن ابن سيده قوله: "الجمال، الحسن يكون في الفعل والخلق".^(١٢)

وهو ما ورد في مفردات القرآن الكريم بأن "الجمال، الحسن الكثير وذلك ضربان أحدهما جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني ما يوصل منه إلى غيره".^(١٣)

وفي اللغات ذات الأصل اللاتيني، يظهر معنى أكثر تحديداً لمفهوم الجمال لجهة ربطه بالمواضيع الحسية فيقال: إن الجمال *Beauty* وتلفظ *byüüt* والصفة جميل *Beautiful* (ومعناها بالفرنسية *Beau* وبالإيطالية *Bello* وبالإانية *Schön*) هو المظهر الحسن. الصفة التي تبعث السرور في الورود، الصور والموسيقى إلخ.. شيء جميل، امرأة جميلة".^(١٤) إلى غيرها من التفاسير اللغوية التي تقصر دائماً في الكشف عن حقيقة المعنى وتكتفي باستحضار معنى مرادف قد لا يصيغ دائماً حقيقة المعنى المقصود، الأمر الذي حذا بالدارسين لظاهرة الجمال إلى عدم التعويل على التفاسير اللغوية واعتماد تفاسير أكثر معيارية وتحديداً.

الجمال في الفلسفة:

في الفلسفة يظهر هناك فرق بين الجمال من حيث كونه صفة تلاحظ في الأشياء، وبين علم الجمال أو الأستطيقيا^(١٥)، باعتباره علماً يدرس هذه الصفة سواء من الناحية الوجودية الفلسفية أو الإدراكية النفسية.

في رسالة السياسة المدنية لأبي نصر الفارابي ، يرد تعريفاً فلسفياً للجمال يقول: بأن "الجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو أن يوجد وجوده الأفضل ويحصل له كماله الأخير، وإذا كان الأول وجوده أفضل الوجود، فجماله فائت لجمال كل ذي الجمال، وكذلك زينته وبهاؤه".^(١٦)

وعن شيخ الإشراق: "جمال آن است كه كمال أو كه لايق أو باشد أو را حاصل بود: الجمال هو أن يحصل له(للشيء) كماله اللائق به".^(١٧)

وعن التمييز في تعاطي الفلسفة مع موضوع الجمال يقول الفارابي: بأنه "ما كان الجميل صنفين : صنفاً هو علم فقط، وصنفاً هو علم وعمل، صارت صناعة الفلسفة صنفين: صنفاً به تحصل معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وهذه تسمى النظرية، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي من شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية"(١٨).

في المقابل يقدم عمانويل كانت Emanuel Kant الجميل على أنه "ما يهيج الناس وبلا تجريد"(١٩). (النص بالألمانية: all-schön ist, das was ohne begriff" أي من دون أي سبب نفعي. وفي هذا التعريف يقارب "كانت" الجمال من حيث كونه حكماً تصدره النفس من دون الخوض في تعريف الجمال كصفة في ذاته . وهو في مرحلة لاحقة يضع تعريفاً أكثر شمولية حيث يقول: "الجمال هو الصورة الغائية لشيء ما يوصفه جمالاً يدرك من خلاله بلا تمثيل لغاية"(٢٠) أما الأستطيقيا أو علم الجمال (الجماليات) Estetica فهو علم موضوعه: بالإيطالية، Aesthetics بالإنكليزية، Esthetique بالفرنسية، Aesthetik بالألمانية، " الحكم التقويمي الذي ينطبق على التفريق بين الجميل والبشع وتسمى الجماليات نظرية أو عامة، بقدر ما تأخذ على كاهلها تحديد طابع أي مجموعة سمات مشتركة تصادف في إدراك كل الأغراض التي تثير الانفعال الجمالي، وتسمى عملية أو خاصة عندما تدرس مختلف الأشكال الفنية"(٢١).

الجمال في العرفان:

يرتبط مفهوم الجمال Beauty عند العرفاء بالصفات الإلهية التي تظهر من الذات الإلهية المقدسة، في العالم المختلفة للسير والسلوك نحو الحق، في مقابل مفهوم الجلال Sublime الذي يرمز للصفات التي يجلّ سبحانه وتعالى عن الاتصال بها . فالجلال والجمال مفهومان يرتبطان بالذات الإلهية المقدسة سلباً وإيجاباً، وهما من لوازم مشاهدات العارف للحقائق ومن ضرورات سيره . في كتاب الجلال والجمال للشيخ الأكبر يقارب ابن العربي تعريف المفهومين بطريقة العرفاء فيقول :

"الجلال لله معنى منه إليه، وهو منعنا من المعرفة به تعالى . والجمال معنى يرجع منه إلينا، وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به، والتنزلات والمشاهدات

والأحوال. وله فينا أمران: الهيبة والأنس" (٢٢).

وفي بيان مراتب هذا الجمال يقول :

"إنَّ لِهَذَا الْجَمَالَ عَلَوْا وَدُنْوًا فَالْعَلُو نَسْمِيهِ جَلَالُ الْجَمَالِ. وَفِيهِ يَتَكَلَّمُ الْعَارِفُونَ وَهُوَ الَّذِي يَتَجَلِّ لَهُمْ وَيَتَخَلَّلُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْجَلَالِ الْأَوَّلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَهَذَا جَلَالُ الْجَمَالِ قَدْ اقْتَرَنَ مَعَهُ مِنَا الْأَنْسُ، وَالْجَمَالُ الَّذِي هُوَ الدُّنْوُ قَدْ اقْتَرَنَ مَعَهُ مِنَا الْهَيَّةَ" (٢٣).

وفي تجلٍ أمر الجلال والجمال في الخارج يقول:

"وَاعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَحْوِي عَلَى جَلَالِ الْجَمَالِ وَعَلَى الْجَمَالِ، فَأَمَّا الْجَلَالُ الْمُطْلَقُ فَلَيْسَ لِمُلْخُوقٍ فِي مَعْرِفَتِهِ مَدْخُلٌ وَلَا شَهُودٌ، انْفَرَدَ الْحَقُّ بِهِ، وَهُوَ الْحَضْرَةُ الَّتِي يَرِي فِيهَا الْحَقَّ سَبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَوْ كَانَ لَنَا فِيهِ مَدْخُلٌ لَأَحْطَنَا عِلْمًا بِاللهِ وَبِمَا عَنْهُ وَهَذَا مَحَالٌ" (٢٤).

الجمال في الحديث:

وردت في الأحاديث مفردة الجمال واشتقاقاتها في كثير من الأحاديث المروية عن النبي(ص) وأهل البيت (ع) وفي أكثر من معنى: فقد جاء هذا المفهوم تارةً بمعنى التجمُّل والزينة ، ويقصد به لبس الزينة من الثياب، أو فعل الزينة والتي هي من مختصات البدن، وذلك بعلة إظهار نعمة الله على العبد بحسب ما ورد في أحاديث العامة والخاصة .

عن رسول الله (ص) أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَيُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثْرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَيَبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤْسَ" (٢٥). أو كما جاء عن الإمام الصادق (ع) يرويه عن أجداده (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالتَّجَمُّلَ، وَيُكَرِّهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤْسَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً، أَحَبَّ أَنْ يُرَى عَلَيْهِ أَثْرَهَا" (٢٦). وعن الإمام الصادق (ع) أيضاً: "إِلَبْسٌ وَتَجَمُّلٌ فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلِيُكَنْ مِنْ حَلَالٍ" (٢٧).

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) عن أبيه (ع) عن علي بن أبي طالب (ع) قوله: "الدهن يظهر الفن والثياب تظهر الجمال وحسن الملكة لكبت الأعداء" (٢٨). وعن التجمُّل في ما يتعلق بمختصات البدن قول لرسول الله (ص): "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

إذا خرج عبده إلى أخيه أن يتهيأ له وأن يتجمل" (٢٩).

والمعنى الثاني للجمال عُبُر عنده بالحسن وترتبط بوجه الإنسان على الخصوص أي جمال صورة الوجه الظاهرة، وذلك بحسب الروايات التي نقلها العامة والخاصة، فعن نبي الله الأعظم (ص): "أطلبوا الخير عند حسان الوجوه، فإن فعالهم أحري أن يكون حسناً" (٣٠).

وعن الإمام علي (ع) : "حسن وجه المؤمن من حسن عنابة الله به" (٣١).

وارتبط الجمال بالعقل، يقول أمير المؤمنين (ع): "حسن العقل، جمال البواطن والظواهر" (٣٢).

وعنه: "عقول النساء في جمالهن، وجمال الرجال في عقولهم" (٣٣).

وعنه (ع): "لا جمال أزین من العقل" (٣٤).

وارتبط الجمال كذلك بالسعادة، يقول أمير المؤمنين (ع): "الصورة الجميلة أول السعادتين" (٣٥)، و "حسن الصورة أول السعادة" (٣٦).

وارتبط كذلك بعموم ملكات الأخلاق والإيمان عند الإنسان، فقد روى عن رسول الله (ص) في كنز العمال قوله: "الجمال صواب القول بالحق، والكمال حسن الفعال بالصدق" (٣٧).

وعنه (ص) جوابه للعباس عن الجمال بالرجل أنه يقول (ص): "بصواب القول بالحق" (٣٨).

وقوله (ص) : "الجمال باللسان" (٣٩).

وورد في غرر الحكم جملة أقوال لأمير المؤمنين (ع) تحت هذا العنوان يقول فيها: "جمال الرجل حلمه" (٤٠).

و "جمال الرجل الوقار" (٤١).

و "جمال المؤمن ورعيه" (٤٢).

و "جمال العبد الطاعة" (٤٣).

وفي بحار الأنوار ما جاء في زبور نبي الله داود (ع): "من أجرم الذنوب وأعجبه حسنه، فلينظر إلى الأرض كيف تعثت بالوجوه في القبور وتجعلها رميمًا، إنما الجمال من عوفي من النار" (٤٤).

وفي أقوال أهل العصمة (ع) ما يشير إلى أن للجمال ظاهراً يتعلق بالصورة الظاهرة، وباطناً متعلقاً بالملكات النفسية للإنسان.

يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع):

”حسن الصورة الجمال الظاهر، حسن النية جمال السرائر“^(٤٥).

ومن الإمام العسكري (ع) قوله:

”حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن“^(٤٦).

وغيرها الكثير من الأحاديث والروايات المنشورة عن أهل العصمة (عليهم السلام)، والتي جعل فيها الجمال مرادفاً للكثير من صفات الحسن والبهاء الظاهر والباطن، والمذكورة في العديد من مصنفات العامة والخاصة.

الجمال في القرآن الكريم:

وردت لفظة ”جمال“ في القرآن الكريم مرة واحدة فقط وذلك في سورة النحل،

يقول تعالى:

«خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ❖ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ❖ ولكم فيها جمال حين تريهون وحين تسرحون»^(٤٧).

وذكرت الصفة المشتقة من الجمال في سبعة مواضع:

اثنان منها في حال الرفع في قوله تعالى:

«قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميلاً والله المستعان»^(٤٨).

وقوله: «قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميلاً عسى الله أن يأتييني بهم جميعاً»^(٤٩).

وأربعة في حال النصب في قوله عز وجل:

«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنت تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالىن أمتلكن وأسرحكن سراحأ جميلاً»^(٥٠).

وقوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعذبونها فمتعوهن وسرحوهن سراحأ جميلاً»^(٥١).

وقوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ❖ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ❖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (٥١).

وقوله في سورة المزمل :

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٥٢).

وفي الموضع السابع ذكرت معرفة كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾ (٥٤).

في هذه الموضع السبعة استخدمت صفة الجمال في وصف أربعة مفاهيم تتعلق كلها بالفعل الإنساني عام، وبالمملكتات النفسية والإيمانية الأخلاقية خاصة.

هذه المفاهيم هي : الصبر، والهجر، والسراح، والصفح.

أما المصدر "جمال" فقد جاء ذكره في بيان بُعد جديد للخلق والخالقية. أما ما ذكر من مرادفات للجمال في اللغة وعُبُر عنده بالحسن تارة وبالزينة أخرى فقد ورد في آيات كثيرة في كتاب الله عزّ وجلّ، غير أنها لن تتعرض لذلك لضيق نطاق البحث وإن كان من الأبعاد الضرورية لإغنائه.

بعد هذا العرض المقتضب والمجحف للفظ الجمال، سنقف عند مجموعة نقاط قلنا: إنها تشكل مساحة التقاء عند مختلف التيارات التي تصدت للموضوع.

أولاً؛ وجود الجمال.

سواء أكانوا من أصحاب النزعة الحسية المادية (ديفيد هيوم David Hume^(٥٥)) أو الجاحظ^(٥٦)، أم من أصحاب النزعة الماورائية (أفلاطون^(٥٧) أو هيغل G.W.Hegel^(٥٨))، وسواء أكانوا من أصحاب نزعة ذاتية شخصية (أرسطو^(٥٩)، عمانويل كانت^(٦٠) Emanuel Kant)، أم موضوعية اجتماعية (كارل ماركس Karl Marx^(٦١) أو شارل لالو Charles Lalo^(٦٢))، وعلى الرغم من تعدد المنهاج في التعاطي مع مسألة الجمال بين فلسي وجودي ونفسي إدراكي، أو مفهوم تقويم وجوده في الذهن، فإن أحداً من الباحثين، عدا بعض السفسطائيين، لم ينكر أصل وجود الجمال، بدليل نفس تعاطيهم مع الموضوع، وإن من وجهات نظر مختلفة.

ثانياً: الجمال صفة.

لم يعتبر الدارسون لموضوع الجمال، مهما اختلفت مشاريهم، أن الجمال موجود لا في موضوع أو أنه جوهر كما يعبر الفلاسفة، بل إن ما اتفق عليه هو أن الجمال متتحقق في موجود معين، سواء أكان في الخارج أم في الذهن، وسواء أكان هذا الموجود متتحققاً في الطبيعة أم في عمل فني أم في ملكة أخلاقية أو نفسية، وتحقيقه في أي من هذه الموجودات يعني إضافته إليها واتصافها به.

ثالثاً: الجمال مدرك.

إن نفس وجود الجمال في الأشياء دليل على أن الجمال ليس مجردأ عنها، وبالتالي فإنه ليس من شؤون العقل المحس أو المجرد عن العوارض. أللهم إن كان الأمر يتعلق بخلق الجميل فذاك أمر إلهي بالأصلية. أما موضوعنا فشأن إنساني متتحقق في مواضيع شتى يمكن الشروع بإدراكه بتوسط الحواس، وتعبير الشروع بإدراكه يعني أن المدرك بتوسط الحواس، ليس هو الصفة الجمالية نفسها بقدر ما هو جانب تلك الصفة المتعلقة بالحواس.

رابعاً: الجمال متكثر.

إن تعدد التعريفات التي صيفت للجمال، مؤشر واضح على مخالطته لأكثر من ناحية وجودية. فالقوة العاقلة قادرة على الحكم بجمال أو قبح فعل من الأفعال، أو ما يُعبر عنه بالحسن والقبح العقليين، والقوة المتخيلة قادرة على تصور الجميل، وبتوسط حاسة البصر يمكن الحكم على شيء ما بأنه جميل، وكذلك حاسة السمع والشم واللمس والذوق.

إذاً موضوع الجمال متكثر ومتنوع بتنوع قنوات المعرفة البشرية، فهو مادة للعقل في مورد الحكم على الأفعال كعلم الأخلاق، ومادة للخيال في مورد الإبداع، ومادة للحواس في مورد رصد الإبداع أو فعله كالفنون .

خامساً: الجمال يبعث الرضا.

اختلاف الفلاسفة والباحثون في تحديد الغاية التي يهدف الجمال إليها. فمنهم

من اعتبر أن الجمال هدف اللذة كدأيفيد هيوم، ومنهم من اعتبر أن هدفه الحب كأفلاطون ومنهم من ذهب إلى أن الجمال يهدف إلى النفعية كريمون باير -Raymond Bayer^(٦٣)، أو اعتبر أن الجمال هدف ذاته كما عبر عمانويل كانت في نقاده لملكة الحكم. إلا أنه لا أحد من هؤلاء يقول بأن تحقق الجمال هو أمر مكدر للنفس، بل إن من أهم عوارض الجمال الذاتية هو بعثه هذه النفس على الرضا، وهو معنى عام يقف وراء كل المعاني الخاصة التي استعملها الباحثون، للتعبير عن علاقة النفس بالجمال عبر الإحساس، كالسرور والبهجة واللذة والنفع.

سادساً: الجمال متعلق بالخلق.

ما هو جمال هو موجود، وما هو موجود هو مخلوق، وكل مخلوق هو صنع إلهي، قد يظهر بدون وساطة - كخلق الطبيعة والإنسان - أو بتوسط فعل بشري كالفن. المهم أن الجمال والجميل لا يتحقق إلا بالخلق، ويرتبط به ارتباطاً ذاتياً، فلا جمال خارج مقاييس الخالقية، ولا خلق ممتنع على القياس بالجمالية.

التعريف

المدعى في ما يلي أن أمehات مسائل موضوع الجمال وأبعاده المختلفة التي تقاطعت عندها مختلف النظريات والأراء، والتي هي بالواقع، الأساس الأمتن لوضع تعريف للجمال، ما هي إلا حقيقة التفسير الذي يستفاد من الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ جمال بشكلها المصدر في سورة النحل من القرآن الكريم، مع لحاظ الآيتين اللتين تسبقانها، في بناء مقدمة متينة للمصطلح، لا سيما إذا تم ربطها بالأيات السبع في القرآن المجيد التي ورد فيها الجمال بشكله كصفة (جميل).

يقول تعالى:

«خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين و الأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون و لكم فيها جمال حين تريهون و حين تسرحون»^(٦٤)
يبيّن تعالى هذه الآيات بالحديث عن الخلق المادي للإنسان. فقوله تعالى:
«خلق الإنسان من نطفة» يراد به "الخلق الجاري في النوع الإنساني وهو جعل نسله

من النطفة^(٦٥)، وهو توصيف شامل لكل هذا النوع وجعله لأسس تكوينه.
﴿فإذا هو خصيم﴾، الخصم صفة مشبهة من الخصومة، وهي الجدال، والأية
وإن أمكن أن تحمل على الامتنان، حيث إن عظيم المن أن يبدل الله سبحانه بقدرته
التابعة قطرة من ماء مهين إنساناً كامل الخلقة منطقياً متكلماً ينبع عن كل ما جد
ودق بيته التبليغ.^(٦٦) والإنسان بهذا الأصل وبهذا البيان، خلقت له الأنعام

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾

﴿والأنعام جمجم نعم .. سميت بذلك لنعمتها مسها﴾^(٦٧).

والنعمه التي فضل بها الإنسان المعرف بالبيان والإدراك، تحمل في طياتها أبعاداً
كثيرة :

فهي خلق، وهي ذات نفع، وهي - والمحل الشاهد - ذات جمال. مقتضى قوله
تعالى: ﴿ولكم فيها جمال﴾، والمقصود بذلك أن الجمال المودع في نعمة الخلق هو
أمر خارج عن كون الخلق نافعاً، الأمر الذي يجعل لنعمه الجمال استقلالية خاصة
خُصّ بها الإنسان، بغض النظر عن نعمة النفع.

وتتمة القول: ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ معناها الظاهري "حين تردونها
بالعشى إلى منازلها وحين تخرجونها بالغداة إلى مراعيها"^(٦٨).

والمقصود منها أن هذه الصفة / النعمة، ألا وهي الجمال، مودعة في هذا الخلق،
سواء كانت في متناول إدراك حواس الإنسان (حين تسرحون) أي عند رصده لها
ومراقبته إياها، أم لم تكن في متناول إدراك حواسه (حين تريحون).

أكثر من ذلك، القول إن هذه الخاصة التي أودعت في الخلق ترتبط بأمور عدّة
هي الكفيلة ببيان حقيقتها الوصفية، وهي الشكل التي وردت عليه في القرآن الكريم
في ذكر الجميل.

فالجميل مرتبط بالزمن ومفهوم قيام الساعة عبر الملوكات النفسية التي وصفها.

يقول تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً ◊ إنهم يرونـه بعيداً ونراه قريباً﴾^(٦٩).

ويقول أيضاً عز وجل:

﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾^(٧٠).

وقوله: ﴿ وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾^(٧١).

والجميل مرتبط بالظاهر عبر المتعة والزيينة قوله تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لآزواجاك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالى امتعكن

وأنسرحكن سراحًا جميلاً .
ومرتبط بالباطن باعتبار أن الجميل هو الكمال في كل هذه الصفات التي ذكرت
لاقترانها بآل التعريف .
 فهو الصير الذي لا شكوى فيه .
 وهو الصفح الذي يخلو من التشريب والعتاب والجدال .
 وهو السراح بغير خصومة والإطلاق بغير خشونة .
 وهو الهجر بإحسان والترك من دون رد الأذية بالمثل .
 على هذه الأسس سناحول بناء تعريف مفهوم الجمال وتحديد وصفه، على ضوء
ما ذكر في كتاب الله والأحاديث المروية عن أهل بيته العصمة (ع)، وما وافقه من
اشتراك أقوال الحكماء والباحثين وتقاطعه معه، لنقول إن :
 "الجمال هو نعمة الاتصاف بالكمال في الخلق الموجبة للشكر بالفعل".

المراجع والمصادر.

١- باللغة العربية:

- الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمى، ١٩٨٧ .
- ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٠ .
- ابن العربي، محي الدين، رسائل ابن العربي، ط١، حيدر آباد، دار إحياء التراث العربي، ١٣٦١ هـ .
- ابن منظور، لسان العرب، تسييق علي شيري، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨ .
- تمام نهج البلاغة، تحقيق صادق الموسوي، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤١٤ هـ .
- الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ج. ٢٠، ط٢، قم، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ .
- الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، المجلد ٢، ط١، قم، مكتب الإعلام

الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.

- ٨- شرح المصطلحات الفلسفية، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، مشهد، ١٤١٤ هـ.
- ٩- الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، ط٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠ هـ.
- ١٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٧ هـ.
- ١١- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٠ .
- ١٢- الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ط٢، الكويت، مكتبة الألفين، ١٩٩٢ .
- ١٣- الفارابي، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نادر، ط١، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٩ .
- ١٤- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، ط١، قم، انتشارات أسوة، ١٤١٤ هـ.
- ١٥- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط١، بيروت، دار التعارف، ٢٠٠١ .
- ١٦- القرآن الكريم.
- ١٧- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠١ .
- ١٨- الهندي، علاء الدين، كنز العمال، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ .

٢- باللغة الإنجليزية:

- 1- Stolnitz, Jerome, Aesthetics & Philosophy of Art Criticism, 1960 ed., Boston, Houghton Mifflin co.

٣- باللغة الفرنسية:

- 1- Kant, Emanuel,Critique de la Faculté de juger, traduction par: A.Philon, 3ème ed., Paris, Librairie Philosophique, 1974.
- 2- Platon, Phèdre , Oeuvres Complètes, traduction par. E.Chambry,ed.1963, Paris, Garnier.

موسوعات، قواميس ومعاجم

- باللغة العربية:

- ١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، ط١٩٨٧، القاهرة، دار الحديث.
- ٢- المعجم الوجيز، ط١، القاهرة، مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٧ .
- ٣- موسوعة جامع المعلم الإلكترونية، مفردات القرآن الكريم: كتاب الجيم - جمل- شركة العريش للكمبيوتر.
- ٤- موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول ، تعریف خلیل أحمد خلیل ، ط١، بيروت، منشورات عویادات، ١٩٩٦ .
- ٥- موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، د.جيرار جهامي، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٨ .

- باللغة الانكليزية:

- 1- Barnhart, Thorndike, The World Book Dictionary, vol.I, 1970 ed., Field Enterprises Educational Co.
- 2- Muray, Peter & Linda, Dictionary of Art and Artists, 7th. ed., London, Penguin books, 1990.

الهوامش:

- (1) Kant, Imanuel, Critique de la faculte de jurer, traduction par A.Philon , 3eme ed.,Paris, Librairie philosophique, 1974 , p. 40.
- (2) من دعاء عرفة المرتوى عن الإمام الحسين عليه السلام. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمى، ٢٠٠١ ، ص ٢٣٩ .
- (3) هو : Michael angelo Buonarroti (1475-1564)، من أبرز رواد عصر النهضة في أوروبا . كان رساماً ونحاتاً وطبيباً ومنظراً بارزاً في علم الجمال.
- (4) Muray, Peter & Linda, Dictionary of Art and Artists, 7th. ed.,London, Penguin books, 1990, p. 271 .
- (5) Platon, Phèdre , Oeuvres Complètes, traduction par

E.Chambry,ed.1963, Paris, Garnier, p.244

- (٦) ابن زكريا: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الأول ، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٠، ص ٤٨١ .
- (٧) الفرقان : ٣٢ .
- (٨) ابن زكريا: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، م١، ص ٤٨١ .
- (٩) ابن منظور: لسان العرب، تفسيق علي شيري، الجزء الثاني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨، ص ٣٦٢ .
- (١٠) الفراهيدي : الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، الجزء الأول، ط١، قم، إنتشارات أسوة ، ١٤١٤ هـق ، ص ٣١٥ .
- (١١) المعجم الوجيز: ط١، القاهرة، مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٧، ص ١١٧ .
- (١٢) ابن منظور: لسان العرب، م١، ص ٣٦٣ .
- (١٣) موسوعة جامع المعالم الإلكترونية، مفردات القرآن الكريم: كتاب الجيم - جمل- شركة العريس للكمبيوتر.
- (14) Barnhart, Thorndike, The World Book Dictionary, vol.I, 1970 ed., Field Enterprises Educational Co., p.181.
- (١٥) مصطلح أول من وضعه الفيلسوف الألماني ألكسندر بومغارتن عام ١٩٥٢ .
ويعتبر كتابه "الأستطيقيا" الجهد الفاصل "في تأسيس علم مستقل يبحث في العلاقة بين الشعور والإحساس والكمال" الموسوعة الفلسفية العربية، ط١، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨، ص ٤٦٥ .
- (١٦) الفارابي، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق أبیر نادر، ط١، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٩، ص ٣٥ .
- (١٧) شرح المصطلحات الفلسفية ، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، مشهد، ١٤١٤ هـ ، ص ٨١ .
- (١٨) موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، د. جيرار جهامي، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٨، ص ٢٠٣ .
- (19) Kant, Emanuel, ibid, p.9..
- (20).ibid, p.17 .
- (٢١) موسوعة للاند الفلسفية ، المجلد الأول ، تعریف خلیل احمد خلیل ، ط١،

- بيروت، منشورات عويدات، ١٩٩٦، ص ٢٦٧.
- (٢١) ابن العربي : محبي الدين، رسائل ابن العربي، كتاب الجلال والجمال، ط١، حيدر آباد ، دار إحياء التراث العربي ١٣٦١ هـ ، ص ٢.
- (٢٢) مـن، ص ٣.
- (٢٣) مـن، ص ٤.
- (٢٤) المجلسـي: محمد باقر، بحار الأنوار، المجلد ٣١، ط١، بيروت دار التعارف، ٢٠٠١، ص ٥٢٣.
- (٢٥) مـن..، المجلد ٣١، ص ٥٢٤.
- (٢٦) الطبرـي: الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ط٢، الكويت، مكتبة الألفين، ١٩٩٢، ص ١٢٧.
- (٢٧) مـن..، ص ١٢٧.
- (٢٨) مـن..، ص ١٢٨.
- (٢٩) الحر العـاملي: تفصـيل وسائل الشـيعة، ج ٢٠، ط٢، قـم، مؤسـسة آلـالـبيـت عـلـيـهـم السـلام لـإـحـيـاء التـرـاث، ١٤١٤ هـ، ص ٦٠.
- (٣٠) الآـمـدي: عبد الـواـحدـ، غـرـرـ الـحـكـمـ، جـ ١ـ، طـ ١ـ، بـيـرـوـتـ، مـؤـسـسـةـ الـأـعـلـمـ، ١٩٨٧، ص ٣٤٠.
- (٣١) الآـمـدي: عبد الـواـحدـ، غـرـرـ الـحـكـمـ، مـسـ، ص ٣٣٧.
- (٣٢) الطـبـرـيـ: أـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ، الـاحـتجـاجـ، جـ ١ـ، طـ ٣ـ، بـيـرـوـتـ، مـؤـسـسـةـ الـأـعـلـمـ، ٢٠٠٠، ص ٨٢.
- (٣٣) المجلسـيـ: محمدـ باـقـرـ، بـحـارـ الـأـنـوـارـ، مـسـ، المـجـلـدـ ١ـ، ص ٧٧.
- (٣٤) الـريـشـهـرـيـ: مـحمدـيـ، مـيزـانـ الـحـكـمـ، المـجـلـدـ ٢ـ، طـ ١ـ، قـمـ، مـكـتبـ الـإـعـلـامـ الـإـسـلـامـيـ، ١٤٠٢ هـ، ص ٧٨.
- (٣٥) الآـمـديـ: عبدـ الـواـحدـ، غـرـرـ الـحـكـمـ، مـسـ، ص ٣٣٧.
- (٣٦) الـهـنـديـ: عـلـاءـ الدـينـ، كـنـزـ الـعـمـالـ، طـ ١ـ، بـيـرـوـتـ، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، ١٩٨٩، خـ ٢٨٧٧٦.
- (٣٧) الـريـشـهـرـيـ: مـحمدـيـ، مـيزـانـ الـحـكـمـ، مـسـ، ص ٨٠.
- (٣٨) المجلسـيـ: محمدـ باـقـرـ، بـحـارـ الـأـنـوـارـ، مـسـ، المـجـلـدـ ١ـ، ص ٨٦.
- (٣٩) الآـمـديـ: عبدـ الـواـحدـ، غـرـرـ الـحـكـمـ، مـسـ، ص ٣٣٠.

- (٤٠) من..، ص ٣٣٠.
- (٤٢) من..، ص ٣٣٢.
- (٤٣) من..، ص ٣٣٢.
- (٤٤) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، م.س..، ص ٧٨.
- (٤٥) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، م.س..، ص ٣٣٧.
- (٤٦) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، م.س..، المجلد ١، ص ٨٥.
- (٤٧) النحل: ٦، ٥، ٤.
- (٤٨) يوسف: ١٨.
- (٤٩) يوسف: ٨٣.
- (٥٠) الأحزاب: ٢٨.
- (٥١) الأحزاب: ٤٩.
- (٥٢) العارج: ٧، ٦، ٥.
- (٥٣) المزمل: ١٠.
- (٥٤) الحجر: ٨٥.

(٥٥) David Hume (1711-1776) فيلسوف إنكليزي اعتبر أن ماهية الجمال هي الشعور باللذة الحسية و מהية القبح هي الشعور بالألم، مؤلفه عن الموضوع حمل اسم "Treatment of Human Nature".

(٥٦) الجاحظ (٨٦٩-٧٧٥) فيلسوف عربي جعل مفهوم الجمال قائماً على فكرة الإعتدال والتناسب المتمثل في جسد المرأة، كتابه عن الموضوع حمل اسم : رسالة في النساء .

(٥٧) Plato (ق.م ٤٢٧-٣٤٧) فيلسوف يوناني صاحب نظرية المثل قارب الجمال باعتباره أحد مثله العليا التي لا يمكن إدراكتها، تدويناته عن الموضوع في محاورات "Phèdre" و "فیدون" بشكل أساسي.

(٥٨) George Wilhelm Hegel (1770-1831) فيلسوف ألماني صاحب كتاب علم الجمال "Aestetik" اعتبر أن الجمال الحقيقي هو الجمال الفني لأنه نتاج الروح ويجب أن يعبر عن ما هو إلهي.

(٥٩) Aristotle (ق.م ٣٢٢-٢٨٤) فيلسوف يوناني وجد في مؤلفه فن الخطابة أن الجمال يظهر في الفنون التي تحاكي الطبيعة.

(٦٠) Critique Imanuel Kant (1724-1804) فيلسوف ألماني اعتبر في كتابه "Critique de la Faculte de Juger" أن الجمال غير متحقق في الخارج بقدر ما هو متحقق في الذهن لا لغایة.

(٦١) Karel Marex (1817 - 1883) فيلسوف إلماي ارتبط مفهوم الجمال عنده بالمفهوم المادي الإنتاجي عند الإنسان الاجتماعي.

(٦٢) Charles Lalo (1877 - 1953) فيلسوف فرنسي، اعتبر في كتابه "L'artet la morale" أن ميدان التجربة الجمالية هو الأخلاق الاجتماعية.

(٦٣) Raymond Bayer (1859-1959)، فيلسوف فرنسي صاحب مؤلف في الموضوع تحت عنوان "Essais sur la Methode en Esthetique."

(٦٤) النحل : ٤، ٥، ٦.

(٦٥) الطباطبائي: محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٢ ، ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٢٣ .

(٦٦) من، ص ٢٢٣ .

(٦٧) من..، ص ٢٢٣ .

(٦٨) الطباطبائي: محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، مس..، ص ٢٢٣ .

(٦٩) المعارج: ٥، ٦، ٧.

(٧٠) المزمل: ١٠ .

(٧١) الحجر: ٨٥ .

(٧٢) الأحزاب: ٤٩ .